

الأمثل في تفسير كتاب القرآن المنزل

[196] النَّبِيُّ (صلى الله عليه وآله وسلم) ولا ينا في الأمر بالجهاد. فما يقوله بعض المفسرين أن هذه الآية نسخت آيات الجهاد غير مقبول! ثم يبيّن القرآن في الآية التالية هذا اليوم فيقول: (يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئاً ولا هم ينصرون). أجل: من يمت تقم قيامته الصغرى "من مات قامت قيامته" وموته بداية للثواب أو العقاب الذي يكون قسم منه في البرزخ والقسم الآخر في القيامة الكبرى، أي القيامة العامة، وفي هاتين المرحلتين لا تنفع ذريعة متذرع ولا يجد الإنسان ولياً من دون الله ولا نصيراً. ثم تضيف الآية أن الله لا ينبغي لهؤلاء أن يتصوروا أن الله سيواجهون العذاب في البرزخ وفي القيامة فحسب، بل لهم عذاب في هذه الدنيا أيضاً: (وان للذين ظلموا عذاباً دون ذلك ولكن أكثرهم لا يعلمون). أجل، إن على الظالمين أن ينتظروا في هذه الدنيا عذاباً كعذاب الأُمم السابقة كالصاعقة والزلازل والكسف من السماء والقحط أو القتل على أيدي جيش التوحيد كما كان ذلك في معركة بدر وما أُبتلي به قادة المشركين فيها إلا أن يتيقظوا ويتوبوا ويعودوا إلى الله آيبين منيبين. وبالطبع فإن جماعة منهم أُبتلوا بالقحط والمحل، ومنهم من قتل في معركة بدر كما ذكرنا آنفاً - إلا أن طائفة كبيرة تابوا وأتابوا والتحقوا بصفوف المسلمين الصادقين فشمّلتهم الله بعفوه(1). وجملة (ولكن أكثرهم لا يعلمون) تشير إلى أن أغلب أولئك الذين ينتظروهم العذاب في الدنيا والآخرة هم جهلة، ومفهومها أن القليل منهم يعرف هذا المعنى، إلا أن الله في الوقت ذاته يُصر على المخالفة لما فيه من اللجاجة والعناد عن الحق. 1 - من قال بأن جملة فيه يصعقون تشير إلى يوم القيامة فسّر العذاب "في الآية" محل البحث بعذاب البرزخ في القبر، إلا أن الله حيث كان تفسيرها ضعيفاً فهذا الاحتمال ضعيف أيضاً.